مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 02 السنة 2022 ص 287 - 304

تاريخ الإرسال: 2020/11/22 تاريخ القبول: 2021/02/04
تاريخ النشر: 2022/04/24

المثقف من منظور العقلية التواصلية

The intellectual in communicative action theory

د. طارق مخنان [1]
مركز البحث العلمي والتقني للمناطق الجافة CRSTRA بسكرة، (الجزائر)
[1]Tarekamin07@yahoo.com

الملخص:

نحاول في هذه الورقة تسليط الضوء على أحد وأبرز المفاهيم والتصورات المتعلقة بالفكر الحداثي الغربي وبالتحديد من وجهة نظر المفكر العالمي "يورغن هابرماس" الذي تناول مفهوم المثقف انطلاقا من خلفية ورؤية نقدية تجديدية، بعيدا عن الوهم والطوباوية التي كانت عالقة بمفهوم المثقف، باعتبار المثقف ذلك الذي ينتج فكر ما؟! ، فهابرماس انطلاقا من رؤيته التواصلية التي اتخذها كبديل لتصحيح الحداثة "التي يعتبرها كمشروع لم ينجز بعد"، فمفهوم المثقف عنده ينطلق من فكرة ،التواصل الديناميكي بدل التواصل الأداتي وهذا ما سنحاول تقديمه في هذا المقال من خلال العناصر التالية: النخبة المثقفة في فكر مدرسة فرانكفورت، الصفات الهابرماسية للمثقف ودور المثقف في ظل العقلية التواصلية.

الكلمات المفتاحية: المثقف؛ الفعل التواصلي؛ التغير الاجتماعي.

Abstrac:

In This paper, we are trying to shed lights on the most prominent concepts and the perception of the western

modernist thought and specifically from the perceptive of the global thinker Jurgan Habermas, who had dealt with the concept of the intellectual basis on the background and critical vision of innovation away from the illusion and utopia that was stuck on the concept. In deed from Habermas vision the concept was adopted as an alternative to correct the modernity which he considers as a Project has not been done yet!? In addition to that Habermas assume that the concept of the intellectual stems on the idea of dynamic communication and this is what we will try to submit in this article through the following elements: The intellectual elite at the thought of the Frankfurt School, The qualities of the intellectual at Habermas, The rôle of the intellectual in a mental Communicative.

Keywords: intellectuel ; communicative action ; social change

المؤلف المرسل: طارق مخنان ؛ TAREKAMIN07@YAHOO.COM

1. مقدمة

كتب "بيرنار هنري ليفي" عن مفهوم المثقف في " Les aventures de la liberté" إن " السؤال الذي يُطرح دوما: لماذا في هذا الوقت تحديدا؟ في نهاية القرن التاسع عشر، لماذا لم يتم ذلك في عهد فولتير، هيجو؟ ألم يناضل هؤلاء، هم أيضا؟ ألم يضعوا أقلامهم في يد القضايا الكُبرى؟ ألا يستحقون، على هذا الأساس، فتح ملف "تاريخ المثقّفين؟ ....الإجابة الأولى، هي أنّ هذه الكلمة "مثقّف" لم تكن موجودة قبل قضيةّ دريفوس (1894–1906)". وحتى وإن وُجدت، في بعض القواميس ، فليس أكثر من كونها كلمة، على كونها صفة لموقف بعينه (راجع ظروف تحرير بيان المثقفين (Albert,1963,p122) Le manifeste des intellectuels)" [1]...ثم يعرج في إجابتين مهمتين بعد ذلك على اعتبار موقف

المثقف في هذه المرحلة جلب إلى قضية "دريفوس" تضامن مئات الفنانين والأدباء والرسامين والطلائع الفكرية بفرنسا، وأنّ المثقف لم يعد وحيدا في مواقفه، وفي قضاياه، بل أصبح "كتلة سوسيولوجية" مدافعة عن قضايا مهمّة لطالما احتكرت السلطة حقيقتها. وأما الإجابة الثالثة، فكانت في أنّ الاختلاف يكمن في الـ" قيم Les valeurs" التي يعكسها المثقف الذي لم يعد يمتلك الحقيقة، كما كانت ترى الاتجاهات الفكرية الأخلاقية الكبرى للقرن الثامن والتاسع عشر، بقدر ما تحوّلت هذه الأخيرة –أي "الحقيقة– إلى معنى مفتوح يكتسب قيمته من ثقل الواقع الذي يتبنى المثقفون الخوض في قضاياه تدريجيا [2]

إن مفهوم المثقف L'intellectuel ارتبط إذًا، بقضية اجتماعية وسياسية شهيرة عرفت في تاريخ فرنسا الحديث باسم "قضية دريفوس" والتي أظهرت انقساما في الفضاء الثقافي والفكري وبروز ظاهرة جديدة تتعلق بنزول الأدباء والمفكرين وأساتذة الجامعات إلى الساحات العمومية أو ما صار يعرف بالـ – الالتزام " l'engagement"– حينها، وهنا سيظهر أول بيان في الفكر الفرنسي من طرف مجوعة تسمي نفسها بالـ" مثقفين" ممثّلةً للمعسكر المؤيد للكولونيل دريفوس ضدّ تهم المؤسسة العسكرية المتعلّقة بالخيانة العظمى تجاه الجمهورية (وهم الجمهوريون، اشتراكيون، والراديكاليون، الخ..). في المقابل، نجد المعسكر المعادي لدريفوس ممثّلا في الوطنيين ورجال الدين والمعادين للسامية. وقد جاء في "الفجر Aurore" ما يلي:" إن الموقعين أسفله يحتجون ضد الاختراقات القانونية لمحضر سنة 1898 ويحتجون على التعتيمات المحيطة بالقضية، ويلحون على مراجعة الحكم الصادر في حق دريفوس" [3].

وهكذا انقسم الجسد الثقافي الفكري في فرنسا إلى تيارين متعارضين، أبديا خلافا سياسا وثقافيا حادًّا، هو في جوهره صراع بين جيلين ؛ جيل القدامى الذي

مثلتـه الأكاديميـة. "الورثـة "Les héritiers" المسـيطر علـى الأكاديميـا، وجيـل الممنوحين Les boursiers ؛ ذوي الأصول الريفية في أغلبهم والذين كانوا يسعون إلى السيطرة هم أيضا بدورهم على الأكاديميا. لقد كانت قضية دريفوس ثورة وانتصارا للمثقفين. لكن إلى هنا لم نصل بعد إلى تحديد دقيق للمثقف ؟. يظهر لنا بعد هذا العرض لقضية دريفوس بأنه من واجبنا أن نتساءل: أليس من كانوا ضدّ الكولونيل دريفوس هم أيضا مثقفين؟ الإجابة المُسبقة، ووفق ما كان سائدا حينها، ستكون سهلة وواضحة(" لا " لأنهم لم يكونوا في موقف الناقد، ورأيهم لم يكن ضدّ السلطة")، علما بأن مفهوم السلطة ذاتها تغير مع "ميشيل فوكو، ابتداء من نهاية خمسينيات القرن المنصرم، ومع سارتر وميشيل سير، ورعيل المدرسة الأركيولوجية والتفكيكية ..إلخ، بل بإمكاننا العودة حتى إلى التراث النيتشوي في الحديث عن هذا الأمر، والذي يكاد يكون المدخل الرئيس لنقد السلطة La critique du pouvoir ، تزامنا مع موقف جماعة : J'accuse إنني أتّهم الفرنسي.

2.النخبة المثقفة في فكر مدرسة فرانكفورت: لا يمكننا الحديث حول هابرماس ، دون التطرق لمدرسة فرانكفورت النقدية التي مثلت بحقيقة وفعالية واقعية النخبة كفئة مؤثرة وفاعلة في المسار الإنساني، في العصر الحديث، ومازال تأثيرها إلى يومنا هذا، وهذا دليل على قوتها وفاعليتها، (و نحن حين ما نتحدث على" م فرانكفورت "لا تهمنا أفكارها بقدر ما يهمنا منهجها، تعريفها للنخبة المثقفة، خصائصها، دورها ، منهجها في التفكير").

وهو دليل آخر على دور النخبة الفاعلة إذا توفرت طبعا على الإرادة الحقيقية للنضال الفكري وأن تجعل لنفسها حقلا خاصا تسيره بنفسها، تنتجه وتعيد إنتاجه، ومدرسة فرانكفورت وكما هو معروف مجموعة من المثقفين المهمين، رغم تأثيرها الذي ظل محدودا لفترة معينة بسبب ظروف المنفى، ولم ينشر إلا بعد

اختفائها. تعود البذور الأولى لتأسيس مدرسة فرانكفورت إلى عام (1923) [4]، حين قام (فيلكس فايل) وهو من المهتمين بشؤون الفكر والسوسيولجيا الماركسية وبالتعاون مع (فردريك بولوك) و(ماكس هوركهايمر) وهما أيضا من المولعين بالفكر والفلسفة الألمانية بتأسيس أكاديمية أو مؤسسة تهتم بدراسة (علم الاجتماع) منطلقة من المنهج (الماركسي النقدي) وأطلقوا على هذه الأكاديمية اسم (معهد البحوث الاجتماعية) وكان ذلك في (الثالث من شباط عام 1923) .

أما الأسباب التي أدت إلى هذه الانطلاقة فهي كثيرة، منها أسباب معرفية ترتبط بتكوين التجمعات والمؤسسات الثقافية والفكرية كما كان سائدا في ألمانيا حينذاك، ومنها أسباب سياسية ترتبط بالفشل الذي أصاب الحركات الشيوعية واليسارية وخاصة حركة (روز الوكسمبرغ) ونهايتها المأساوية عام1919، التي شكلت دفعة قوية لإعادة الاعتبار للمنهج الماركسي في الثقافة والسوسولوجيا والنقد والممارسات المنهجية. وكان من ابرز من التحق بالمعهد وهم يمثلون (الجيل الأول) من المدرسة: (ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو وليو لفينتال وهربرت ماركيوز وإريك فروم ووالتر بنيامين). وبعد فترة التأسيس هذه اتسع نشاط المعهد فأخذ بالاتصال بالجامعات والمؤسسات المختلفة وعمل على إدخال مناهج جديدة كالتحليل النفسي والانثروبولوجيا ضمن حلقات المعهد ومناقشاته. لكن مسيرة المعهد لم تمر بسلام وأمن. ففي عام(1933) تمكّن الحزب النازي في ألمانيا من السّلطة واستطاع السيطرة على الحياة السياسية والثقافية بنهجه الشمولي وآلته العسكرية وجابه المعهد حينها معضلتين أساسيتين تمثّلتا في الشقين المنهجي والرؤية الماركسية، لأنّ أغلب أعضاءه كانوا من اليهود.

بعدها بدأت رحلة المصاعب والمتاعب، فاضطر أغلبية أعضاء المعهد إلى الرّحيل، وتوجهوا إلى سويسرا عام 1933 واستقروا في جنيف ليعاودوا ممارسة

نشاطهم الفكري والمعرفي وقامت الحكومة الألمانية بعدها بغلق المعهد ومصادرة مكتبته ومنعه من مزاولة أي نشاط داخل ألمانيا. وامتد النفوذ النازي إلى جنيف فقام أعضاء المعهد بالهجرة والسفر مرة أخرى ولكن هذه المرة إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) عام 1934 حيث عاود المعهد نشاطه العلمي والفكري في أنحاء أوروبا وأخذ في الاتساع والشهرة. تعددت حينها الاتجاهات الفلسفية في مدرسة فرانكفورت، والتي يمكننا إيجازها فيما يلي:

- ✓ اتجاه هوركهايمر وأدورنو؛ الذي يمثل المنهج النقدي الجدلي الذي يهدف إلى توحيد النظرية بالممارسة العملية وتقديم نظرية نقدية للمجتمع تستطيع الوقوف أمام فكرة التسلط والعنف، وتسعى إلى جعل الفكر النقدي ليبرالي وغير ليبرالي في الوقت ذاته، وألاّ تخجل من الصراع الاجتماعي الواقعي وألاّ تبخل عن أية مهادنة، مع أية سلطة، ما دامت تهدف إلى الاستقلالية وإلى تحقيق سلطة الإنسان على حياته الذاتية، مثلما هي على الطبيعة.
- ✓ اتجاه هربرت ماركيوز (1898 . 1984)، الذي تمثَّل في رفض المجتمع القمعي القائم، والثورة عليه، من خلال تأكيده على الدور الحاسم والثوري للعقل في حياة الإنسان وعدم النظر إلى المجتمع من رؤية أحادية البعد.
- ✓ الاتجاه النفسي التحليلي: الذي يتمثل بآراء إيرك فروم وأتباع الفرويدية الجدد، وهو اتجاه يقوم على مقدمات ماركسية في التحليل النفسي.
- ✓ اتجاه يورغن هابرماس (1929) وهو اتجاه فلسفي إنثروبولوجي يؤكد على دراسة الرأسمالية المتأخرة كمجتمع صناعي عقلاني ذي أيديولوجية تكنوقراطية، كما صاغها في نظريته في السلوك الاتصال. و من المتعارف عليه أن مشروع الحداثة الأوروبي قام على العقلانية والحرية والتقدم، وقد بشر الإنسان بالتحرير من مختلف أشكال العبودية، وتحقيق السعادة بواسطة المعرفة العلمية" وبنزع الهالة السحرية عن العالم

أو كما أسماها ماكس فيبر le disenchantment du monde، والمقصود بهذا المصطلح تجريد العالم من أشكال القداسة والتدخلات الغيبية التي عرفتها المجتمعات الأوربية قبل دخول مرحلة الرشد والتحرر والتقدم، والتي اتجهت إلى السيطرة la domination التي اتخذت أشكالا أخرى من السيطرة وهالة سحرية من نوع آخر على حد تعبير م فيبر ، كما يراها أصحاب مدرسة فرانكفورت، وقد تجسدت في مؤلفاتهم: أفول العقل Eclipse de la raison كتاب هوركايمر، توصل فيه بأن السيطرة لها بعدين متلازمين. يقول هوركايمر: " لقد نتج عن سيطرة الإنسان على الطبيعة سيطرة الإنسان على الإنسان" [5]، وكما هو معروف أن النقد يشكل المفهوم الأكثر محورية من بين المفاهيم الكثيرة، فإنّ فلسفتهم ذاتها تسمى "النظرية النقدية". والسبب في تنامي شعور أعضاء المدرسة النقدية بالتشاؤم، هو أصلهم كأقلية إثنية (يهود)، وشعورهم بالوحدة القاسية والاغتراب الفكري والروحي في المجتمعات التي يعيشون بها [6].... (نشير إلى أن هابرماس وهو يهودي كبقية مؤسسي المدرسة النقدية، كتب مقالا واسع الشهرة في بداية الخمسينات بعنوان Penser avec Heidegger contre Heidegger "التفكير مع هايدغر ضد هايدغر" أو فيلسوف الكينونة كما يلقب، هايدغر صاحب الإشعاع السياسي الذي مارس تأثيرا كبيرا على الشباب الألماني آنذاك في فترة صعود النازية الجارف ،...صحيح أن هايدغر لا يتحمل المسؤولية السياسية المباشرة لما حدث لليهود، لكن يتحمل المسؤولية الأخلاقية بما أنه عنوان النخبة المثقفة الألمانية آنذاك كما تظهر إيديولوجية هابرماس المتطرفة في حواره مع بورادوري: " Giovanna Borradori"* عندما سألته: " كيف يمكن أن تُعَرِّفَ الإرهاب فعلاً؟، أجاب هابرماس: "يظل الإرهاب الفلسطيني إرهاباً من الطراز القديم بأحد المعاني فهو يتمحوَّر حول القتل وإبادة الأعداء دون تمييز بين النساء والأطفال– حياة مقابل حياة أُخرى– . وهذا هو ما

يجعله مختلفاً عن الإرهاب الذي يظهر على صيغة شبه عسكرية في معارك الجوار التي ميّزت العديد من حركات التحرر الوطني في النصف الثاني من القرن العشرين"*. يرى هابرماس في العمليات الفلسطينية إذن حالة من حالات الإرهاب الأعمى بقصد الثأر والتدمير! ولكنه، لا يُدين إسرائيل بكلمة واحدة حول إرهاب الدولة الذي تمارسه بحق الشعب الفلسطيني الأعزل! فالإرهاب لديه ثلاثة أنواع؛ فلسطيني وشبه عسكري وعالمي، بينما الإسرائيليون هم مجرد شعبٍ وديع ابتلى بلعنة الإرهاب أين كان. في الحقيقة إن ردة فعل هابرماس على النازية يبين موقفه من اليهود، (للمزيد من المطالعة بهذا الشأن، يطالع كتاب الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي"). ويحدد هوركهايمر مهام المدرسة النقدية كالتالي:

المهمة الأولى: ضرورة بلورة وعي متكامل خاص بكل نظرية ذات توجه اجتماعي والنظر في محدداتها وما يتمحور حولها والبحث عن الموجهات الخفية.

المهمة الثانية : تتمثل في التحرر أو الانعتاق عن طريق عقلنة الواقع، أو على الأقل البحث عن العناصر العقلية في هذا الواقع، مثل البحث عن المصلحة المشتركة للغالبية العظمى من الناس مثل العدالة .

المهمة الثالثة: النظر إلى العقل بنظرة تفكيكية؛ بمعني النظر ومحاولة فهم الأسباب العميقة التي أدت بالعقل إلى السقوط في براثن العقل الأداتى البراغماتي الذي يتلخص همه الوحيد في إنتاج النجاح دون الاكتراث بمضمون ما ينتجه. يقول هوركهايمر في كتابه "نقل العقل الأداتى" : " ... صار دور العقل اليوم بل وعمله الأساسي هو إيجاد وسائل في خدمة الغايات التي يتبناها كل فرد في لحظة معينة، وهو يتهم "فيبر" باحتفاله بانتصار العقلانية الوظيفية"، والتي هي في الأخير العقلانية الأداتية. [7].

المهمة الرابعة: إنّ على المثقفين أن يتبنوا الحياد الموضوعي، إذ لا ينبغي أن يفصل المثقف الحقيقة عن مضامينها القيمية وعلى المثقفين أيضاً أن يقفوا موقفا نقدياً، من المجتمع موضع الدراسة، وفي ذلك خروج عن الفلسفة الوضعية و اقتراب من الماركسية والمثالية النقدية ، وعلى المثقفين كذلك أن يقفوا بالمثل موقفا نقديا فكريا من فكرهم. [8].

3.من هو المثقف حسب مدرسة فرنكفورت؟ نشير إلى أن القاسم المشترك بين الاتجاهات الثلاثة التي مثلت المدرسة النقدية عبر التاريخ هو تركيزهم على مسالة الجانب الثقافي، الذي حل محل الاقتصاد في التحاليل الماركسية الأولى، فالمجتمع لم تعد تمزقه التناقضات الاقتصادية والبنيوية، فقد أصبحت المسألة الرئيسية هي دمج أفراد المجتمع .... عن طريق الثقافة التي أصبحت العامل القوي لتحقيق ذلك [9] وقد ناقش ذلك هربرت ماركيوز في مؤلفه" الإنسان ذو البعد الواحد" وكذلك تحليل "أدورنو" لما يسميه بصناعة الثقافة في كتابه "جدل التنوير، 1972" والفكرية المركزية التي تدور حولها كتاباته، وهي أن الكائن البشري له قدرات وإمكانيات معينة سلبت منه في المجتمع الحديث. ومرة أخرى نعود ونؤكد، في هذا العرض الموجز بأننا لا نركز على أهداف فلسفة المدرسة النقدية، بقدر ما يهمنا منهجها وطريقة تحليلها للواقع كفئة نخبوية مثقفة. ويمكن أن نستنتج من هذا العرض الوجيز، تعريفا للنخبة المثقفة من وجهة نظر مدرسة فرانكفورت، وهي أنها تعدّ بمثابة الفئة الأكاديمية المتعلمة؛ أي ذات المستوى العالي من التعلم، الواعية بدرجة عالية، والتي لها القدرة على كشف وتحليل أساليب وآليات الهيمنة والقمع الثقافية، التي تمارسها الطبقة المهيمنة على الطبقة المهيمن عليها، ونقد الثقافة السائدة.

فالمثقف ناقدٌ اجتماعي، يسعى إلى نقد الممارسات الاجتماعية انطلاقاً من المرجعية الماركسية. وفي الأخير نشير إلى أن مدرسة فرانكفورت، كغيرها من

المدارس لم تسلم من النقد. ومن أبرز الناقدين لها، "**آلان توران**" في كتابه" نقد الحداثة "، يقول : إن هذا العداء للحداثة من طرف المدرسة النقدية لم يأت بتحليل واقعي للمجتمع الحديث، وصار علم الاجتماع مشلولا بسبب النزعة الراديكالية للامبالاة بدراسة الممارسات الاجتماعية ... وأنهم لم يجدوا حلا موثوقا فبحثوا عن عزاء في الخبرة الجمالية والدعوة الجمالية ... وقد ظلت –أي م فرانكفورت– في منأى عن المشاكل والأزمات التي تنشرها الحداثة وأشكال سيطرتها.

وأنهم سقطوا في ما كان فيه رجال الدين من قبل؛ الذين كانوا يتحدثون باسم لله، تحدوا باسم العقل والتاريخ، وعندما اتسعت الساحة للجماهير وحلت الأنظمة الجمهورية فقد المثقفون مثل رجال الدين سلطتهم، فراح المثقفون يعلنون الحرب على الثقافة الجماهيرية التي حرمتهم من الاحتكار وسقطت عنهم نخبويتهم التي يطورون في ظلها تأملاتهم ويخوضون فيها ضالتهم، وبدل أن يحاولوا إنقاذ المجتمع عملوا عكس ذلك. ويتساءل "ألان تورين": ما تدل هذه المفارقة إلا على إدانة المثقفين أنفسهم؟. [10].

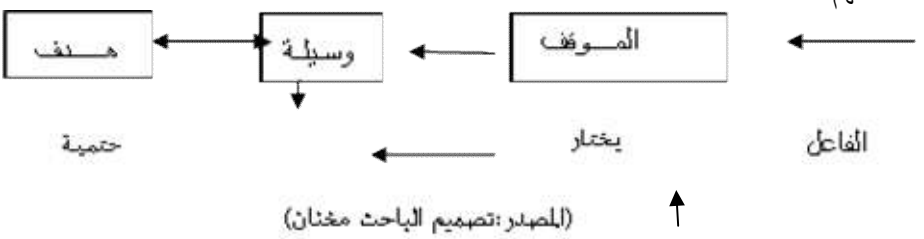

(المصدر:تصميم الباحث مخنان)

4. نظرية الفعل التواصلي«théorie de l’agir communicational **» لـ يورغن هابرماس:**

سنقدم أولا عرضا نبين فيه هذه النظرية بهدف تقديم معنى للفعل التواصلي وماذا يقصد به هابرماس، وصل يورغن هابرماس في 18يوليو1929، إلى درجة من

الشهرة، لم ينجح مثلها الرعيل الأول من ممثلي النظرية النقدية الاجتماعية المعروفة في حقل الفلسفة المعاصرة بمدرسة فرانكفورت في الوصول إليه فعلى الرغم من الثقل العلمي لأفكار الجيل الأول (هوركهيمر، أدو رنو، ماركوز، إريك فروم...)، إلا أن هابرماس هو الفيلسوف الوحيد الذي فرض نفسه على المشهد السياسي والثقافي في ألمانيا كـ"فيلسوف الجمهورية الألمانية الجديدة" وفقاً لتعبير وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر، وذلك منذ أكثر (من خمسين عاماً) [11]، و قد اهتم هابرماس كثيرا بالحداثة ، حيث اعتبر مشروع الحداثة لم ينجز بعد، هكذا كان عنوان المحاضرة التي ألقاها في أيلول 1980 بمناسبة استلامه لجائزة آدورنو . يقول هابرماس: "هذا الموضوع المثير للجدل المتعدد الأوجه ما انفك يلاحقني منذ ذلك الحين [12]، إلا أن هابرماس لا يرفض الحداثة بل يجب أن تُنتقد من الداخل وتُصحح ولا تفرض كلية كما ذهب إلى ذلك مفكرو ما بعد الحداثة الذين يصفهم بأنهم يمثلون نوعا من النزعة الفوضوية ذات العمق المحافظ [13].

إن تحاليل هابرماس تسعى إلى تحرير الفرد من الاغتراب الذي يعيشه أكثر من اهتمامه من تغيير البنية الاجتماعية الموجودة. بالنسبة له ليس من الضروري أن نغير المجتمع لتحسين وضع الفرد بل يجب أولا وقبل كل شيء تغيير العلاقات التي هي بشكل عام غير عادلة بين الأفراد حيث نجد فردا مهيمِناً وآخر مهيمَناً عليه. يرى هابرماس الذي يدعو إلى تغيير المجتمع لا بواسطة تغيير الأبنية الاجتماعية ولكن بتغيير العلاقات بين الأفراد. وأول شكل من أشكال هذا التغيير هو الخطاب، فنظريته حول العقل التواصلي" Agir communicationnel" كانت محاولة لوضع الفرد في مكانه الطبيعي داخل المجتمع، فردٌ يشارك بكل حرية في تشكيل وتحقيق المجتمع [14]. ويقول "أيان كريب": "...ولقد قارنت لوكاتش بصفته ممثلا للنزعة التفاؤلية بكل من أدورنو وهوركهايمر وماركيوز بصفتهم ممثلين للنزعة التشاؤمية، ضمن إطار

فكري متشابه من منطلقاته الأساسية، وأن اهتمامهم الشديد بحرية الإنسان ... ، أما في أعمال هابرماس فان هذا الحماس يظهر بدرجة أقل في كتاب l'espace public" [15]. إلا أن ما تميز به هابرماس هو دراسته للمجال العام المعنون بـ: التحول الهيكلي في المجال العام، والذي صدرت سنة 1962 تتبع من خلال هذه الدراسة كيفية تشكل ونمو وتدهور المجال العام بين القرنين الثامن عشر والعشرين[16].

أما أنتوني جيدنز، فقد رأى أن هابرماس تخلى عن الكثير من أفكار كارل ماركس التي أتى عليها الزمن، وأنه تحول إلى أفكار ماكس فيبر بحثا عن مسارات فكرية بديلة [17]. إضافة إلى أن هابرماس لم يكتف في تكوين نظريته بعطاءات الفلاسفة وعلماء الاجتماع فقط من كانط إلى دريدا بل الأمر تجاوز ذلك إلى تخصصات أخرى لطالما استلهم منها أفكاره واستفاد من نتائجها كالتحليل النفسي ونتائج الدراسات الأنثروبولوجية كما هو الشأن مع هربت ميد واستفاد من علم النفس التكويني عند جان بياجي والسوسيولوجيا المعاصرة كما مارسها تالكوت بارسونز، اظافة إلى فيتجنشتاين في الفلسفة التحليلية ولوكاتش في تحليله للتشيُّؤ وبيرس وتشومنسكي في التداوليات الصورية ...الخ، فهو لا يطمئن إلى اتجاه واحد، أو مدرسة نظرية أحادية.

ومن أهم القضايا التي اهتم بها هابر ماس مسألة الحداثة والتواصل التي كانت تشكل بالنسبة له هاجسا أساسيا ومحورا رئيسيا يتجلى في كتابه "الحداثة والتواصل" محاولة منه لتحرير الذات الإنسانية من عقلانية المؤسسات الحديثة التي ترهن الجسد في مجال عمومي يضفي عليه العقل شرعية مشكوك في إنسانية قوانينها وتشريعاتها، في مجال عمومي يسجن الجسد داخل نسق صارم وفي عقلانية تمسخ الفردية الحقيقية، ولا توفر شروط إمكانية إقامة أرضية صالحة للتفاهم بين الذوات[18]،

هذا ما يسميه هابرماس بالعقلية الأداتية، التي غيرها إلى العقلية التواصلية.أما ما يقصد به هابرماس بالفعل التواصلي، ليس كما نفهمه في إطاره البسيط الضيق، بل التواصل على مستوى الوعي أو الأفعال وليس الاتصال الظاهري بين الأفراد في شكله العادي، بل الاتصال الديناميكي[19]، ذو القدرة على إحداث التغيير شرط التواصل؛ الذي يتميز بثلاث خصائص:

أولا: أن يكون على درجة من الوعي الحقيقي وليس الوعي الزائف، وحتى نفهم ونعي جيدا ما المقصود بالوعي الحقيقي نعود إلى كتاب هابر ماس :"المعرفة والمصلحة" حيث يفرق بين ثلاث أشكال من العلاقة التي تحكم المعرفة والعلم:

المصلحة التقنية intérêt technique :وهي بنى الأعماق التي تتمظهر في: التجريبية لتلبية حاجات مادية معينة وهى التي سادت في المجتمعات الحديثة، وأطلق عليها اسم العقل الأداتى. وعلى الرغم من عدم رفض هابرماس لهذا النوع الأول من المعرفة، بل واعترافه بأهميته الشديدة، إلا أنه يؤكد أن العمل وحده ليس كافيا لتمكين الإنسان من تحويل بيئته.

مصلحة المعرفة التطبيقية" Intérêt_pratique ": وتتمحور حول مجال ظاهرة الأشخاص والتعبيرات، أو حول بنى الأعماق المتعلقة بالمنظومات الاجتماعية.

مصلحة المعرفة التحررية " Intérêt d'émancipation ": في الوقت الذي تتأسس فيه مصالح المعرفة التقنية والعملية في بنى" غير متغيرة " التجربة وبنى الفعل المتأصلة، وتحديدا عندما تكون مرتبطة بتكوينات المنظومة الاجتماعية، فان مصلحة المعرفة المحرِّرَة، يكون لها حالة مستنبطة، تضمن علاقة المعرفة النظرية مع (براكسيس/ التجريبية) الحياة أي مع مجال موضوعات ينشأ بداية ضمن شروط تواصل مشوه نسقيا وضمن شروط قمع مشرع لها ظاهريا ومستنبطة، يكون لهذا السبب أيضا نمط التجربة والفعل الذي يناسب مجال الموضوعات هذا.

التجربة مع الطبيعة الموهومة هي بصوره خاصة تأملية وتتشابك مع فعل إلغاء أشكال القسر المرتبطة بالطبيعة الموهومة [20]. وعليه، وحسب هذا التقسيم للمعرفة والمصالح التي تنطلق منها المعارف، فالمصلحة التحرُّرية، هي التي يجب أن تنطلق منها النخبة المثقفة لإحداث تغيير حقيقي، ولا بأس أن نوضح بأن هابرماس يتفق مع جان بول سارتر، في أن المثقف دائرة نفوذه هي الوعي الذي لا يعترف بأهميته أحد، وان كانت الطبقة السائدة تعمل على تزييف هذا الوعي وإعادة إنتاج أيديولوجيتها المهيمنة، هذا الوعي سماه سارتر بالبحث عن الحقيقة.

ثانيا: خاصية للفعل التواصلي عند هابر ماس هي القدرة على إنتاج معارف جديدة، ويعني استئناف التفكير في مشروع العقلانية، دون السقوط في المثالية أو استبعاد عطاءات العلم شريطة أن تكون عقلانية نسبية، إن نقد العقل التنويري وكشف مظاهر البربرية للعقلانية وإدانة سيطرة الدولة الحديثة في أشكالها القهرية هو فعل ضروري لإعادة تنشيط السلب في الفكر وتجديد القوة النقدية. وهذا الفعل في نظر هابرماس لا يقوم به إلا الفرد الناقد الايجابي ولا يتوقف الأمر إلى هنا فقط بل يعتبر هابرماس أن من مهمة العلوم الاجتماعية يقع على عاتقها عملية النقد لأنها علوم نقدية منذ تكوينها، وهذا ما يميزها عن بقية العلوم التجريبية والعلوم التاريخية التأويلية، وهذا ما يسميه هابرماس بـ:"التأمل الذاتي"، إنها توفر الإطار المرجعي للافتراضات النقدية باعتبار أن التأمل الذاتي يحرر الذات من تبعيتها للقوى الراكدة والجامدة [21].

ثالثا: خاصية الفعل التواصلي حسب هابرماس هي الفاعلية، والمقصود بها العمل الميداني الواقعي، فلا يكفي إذا توافر الوعي الحقيقي والقدرة على إنتاج معارف جديدة إذا لم تكن هناك فعالية وقدرة على التأثير والتغيير أي اكتشاف آليات وميكانيزمات وطرق جديدة، في نفس السياق يقول: لا يستطيع المجتمع أن يضمن

بقاءه إلا إذا اعتمد على قدراته التعليمية أي كلما كان قادرا على اكتساب قواعد تفاعلية مع الآخرين كان ضمان وجوده أطول وأقوى، لأن ذلك يجعله قادرا على اكتساب مستجدات العصر وبخاصة المتعلقة بالعملية الإنتاجية، لأنه إذا امتلك القدرة التعليمية يستطيع أن يتفاعل مع الآخرين، يكسب منهم معارف جديدة تشجعه وتدفعه للانخراط والمساهمة في الحياة الإنتاجية " الفكرية، الاجتماعية الاقتصادية، العلمية....،" فالتواصل المستمر بين الأفراد يقلص من كم ونوع المشاكل الاجتماعية التي قد تحصل بينهم وتزيل أية أمور غامضة.

والمثقف يحتاج إلى مثل هذا الاتصال مع الآخرين لكي يوضح أهدافه ومراميه في خطاباته التي يوجهها لهم عبر عباراته ومؤلفاته وخطاباته، ... ونشير إلى أن هابرماس يركز بشكل لافت للنظر على النقد البناء كمحك ميزاني حقيقي يطلب، ويطلب من النخبة المثقفة استخدامه في مجتمعها كوسيلة أو آلية في تصحيح أو تعديل أو تقويم ما هو فاسد وناقص أو مشوه أو منحرف سياسيا، اقتصاديا...بل لا يقبل –هابرماس– بمواقف الطليعة المزدوجة، التي تضع ساقا على ساق

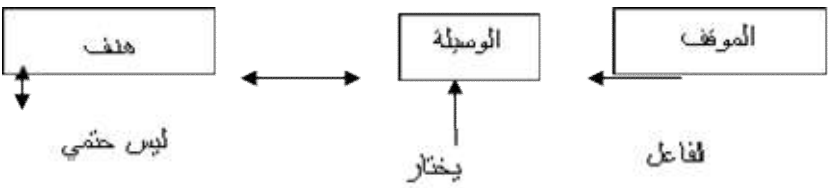

المصدر : تصميم الباحث طارق مخنان

5.مناقشة: بتعبير آخر يعتبر – هابرماس– النقد وسيلة فضلى ومناسبة لتعليم وتنوير الناس حول ما يدور حولهم؛ أي أنه يعتمد على النشاط العقلي في رؤية وغربلة الأحداث والأفكار الدائرة في المحيط الاجتماعي. لم ينس هابرماس وظيفة الجامعة في تخريج المثقفين... بل ويعتبر في الوقت الراهن، بأن المثقفين العضوين

المالكين لنفوذ قوي، تمكّنوا من نيل مكانة لم يتمكّن أي مثقف مثلهم في عصور وأزمان غابرة. ونسجل ملاحظة هامة، وهي أن – هابرماس – لم يتناول موضوع النخبة المثقفة بشكل واسع. بل ركز على تكوينهم الثقافي ووظيفتهم النقدية للأحداث السلبية ودورهم في التواصل مع المجتمع من أجل تنويره وارتقاء وعيه المجتمعي والسياسي [22]

6.خاتمة:

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نكون قد ساهمنا ولو بالقدر القليل في إيضاح مفهوم المثقف عند يورغن هابرماس، على اعتبار أن هذا المدخل يفتح لنا آفاقا جديدة في البحث أكثر وذلك بغرض تبين مصطلح المثقف بلغة الجابري فمصطلح "المثقف" رغم رواجه الواسع في الفضاء العربي، إلا انه لا يشير إلى شيء محدد ولا يحيل إلى نموذج واضح، ولا يرتبط بمرجعية واضحة، ذلك لأنه بقي يفتقد إلى البيئة الصحيحة في الثقافة العربية الإسلامية، ذلك لأن مفهوم المثقف الذي نقل إلى الثقافة العربية عبر ترجمة ناجحة دون شك، غير أنه لم تتم تبينه بالصورة التي تمنحه مرجعية واضحة في فضائنا الثقافي، فبقي غريبا رغم انتشاره الواسع، والمقصود هنا بالبيئة هو ربط المفهوم بالحقل المنقول إليه ربطا عضويا[23] وذلك ببناء مرجعية له تمنحه المشروعية والسلطة، وعملية البناء هذه تتطلب الرجوع والاطلاع على المرجعية الأصلية، وتتبع ظروف تشكلها ومراحل تطورها، أي استحضار تاريخيتها وذلك للتعامل مع المعطيات التي وضع المفهوم للتعبير عنها في الحقل الأصلي ومقارنتها بنوع "قياس الأشباه بالنظائر مع الاحتفاظ دوما بالفارق، لكن لا بوصفه جدار حديدي، بل بوصفه جسرا ومعبرا وهذه عملية النقل كخطوة إبستيمولوجية لازمة بل، ضرورية لتحقيق نتائج يصعب إلى حد الاستحالة في التوصل إليها من دون هذه الخطوة .

قائمة المراجع

1- Albert Laborde(1963) Trente-huit années prés de Zola,Les éditeurs français réunis,p122.

2- Bernard Henri Lévy (1991) Les aventures de la liberté, Edition grasset p9- p11.

1. محمد الشيخ(1991)، المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، ط1، دار الطليعة بيروت، لبنان، ص18

2. أيان كريب (1999)، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس: "ترجمة ، د محمد حسين غلوم" ، عالم المعرفة ،الكويت، صص311- 345

3. أيان كريب، نفس المرجع

4. عمر مهيبل (2007) من النسق الى الذات،ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، صص 12-112

5. كارل أوتو أبل(2005) التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، "ترجمة عمر مهيبل" ط1، منشورات الاختلاف، ص11

6. أيان كريب، مرجع سابق ص 23

7. آلان تورين(1998)، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المشروع القومي للحداثة، ص، 208

8. أحمد جميل، حمودي (15-12- 2008) مدرسة فرانكفورت: شعلة اليسار الجديد، الحوار المتمدن- العدد: 2496 - 2008 / 12 / 15 - 09:26 ، تم الاسترجاع : 23-05-2018

.http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=156386&r=

9. أيان كريب، مرجع سابق ص323

10. نقد الحداثة ، مرجع سابق ، ص214 -215

11. منتدى العلوم الإنسانية والتطبيقية : موضوع: هابرماس والفكر النقدي في علم الاجتماع، الأربعاء يوليو 10.29 2009

12. يورغين هابرماس ، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة ألجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة سوريا ، 1995 ، ص05

13. محمد نور الدين أفاية :الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابر ماس: ، إفريقيا الشر ق ، بيروت لبنان ،ط2 1998 ص 124
14. عبد العالي دبلة ، مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، دار الخلدونية ،2011 ص46
15. أيان كريب ، مرجع سابق ص 345
16. / جون سكوت خمسون عالم اجتماعأساسي :ترجمة محمد محمود حلمي ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر :جزء 2ص382
17. أنتوني جيدنز:علم الاجتماع ،ترجمة وتقديم د فايز الصياغ ،المنظمة العربية للترجمة،طبعة ، 4ص726 أكتوبر 2005
18. محمد نور الدين أفاية، مرجع سابق، ص68
19. عمر مهيبل مرجع سابق ، ص126
20. يورغين هابرماس:المعرفة و المصلحة: ترجمة ، حسن صقر،منشورات الجمل ، ط الأولى، 2001 ص378
21. نفس المرجع : ص 68
22. معن خليل العمر ، علم الاجتماع المثقفين ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط1 ، ص125
23. محمد عابد الجابري ، المثقفون في الحضارة العربية ، – محنة ابن حنبل و نكبة ابن رشد–، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط2 2000،ص 14

ملاحظات

* هذه المحاورات هي أجزاء من كتاب الفلسفة في زمن الإرهاب وهي محاورات قامت بها الفيلسوفة الإيطالية جيوڤانا بورا دوريGiovanna Borradori مع كلٍ من يورغين هابرماس وجاك ديريدا عقب أحداث 11/أيلول.2001. ولدت عام 1963 في ميلانو ايطاليا وعاشت في الولايات المتحدة منذ عام 1989 و رئيس كلية التاريخي و أستاذة الفلسفة